التوجيهات النحوية واللغوية لشرح لامية العرب للعكبري

(٥٣٨ -٦١٦ هـ)

أ.م.د. حيدر محمود عبدالرزاق

مُلخّص البحث

لامية العرب (للشنفرى) من أَنفس قصائد الشعر العربي فهي تُضاهي في شهرتها شعر المعلقات... اهتم الباحثون بها. فشرحوها وأعربوها، وتُرجمتْ الى لغات العالم، وصارت مَحطَّ الأنظار من عرب، وأجانب... تناولها النحوي (العكبري ٥٣٨-٦١٦هـ) بالشرح والإعراب. والبحثُ الذي بين أيدينا وقفات، حاولتُ من خلالها توجيهَ معانيها وإعرابها على وفقِ ما فهمته من مقاصد الشاعر والغايات التي رَمى إليها...

أمّا خطة البحث فلم تعتمد على التقسيمات والتبويبات ذلك أنّ البحث يقوم على دراسة قصيدة شعرية من خلال الوقوف على الأبيات التي كان لي توجيه إعرابي معيّن فيها يختلف عن توجيهات العكبري الإعرابية، ومن المؤكَّد أنَّ موقفي هذا كان يُحدث أحياناً افتراقا في توجيه المعنى، فجمعتها في هذا البحث.

ومن المناسب أنْ أُشير الى أنَّ الذين سبقوا – العكبري– كالمبرد والزمخشري والتبريزي، وبعض المحدثين قد أَخذَ اللاحق منهم عَمن سبقوه، فذكرت ذلك في أثناء البحث... وعسى أنْ أكونَ بعملي هذا قد أسهمتُ في جلاء ما خفي من معانيها... ومن الله التوفيق.

Abstract

Of the most precious poems of Arabic poetry is (lamiyat Alarab) by (Al-Shanfari); it is as famous as (Almuallaqat). Researchers paid great attention to it; they explained and parsed it. It was translated into most of the world's languages, and it became the focus of attention of Arabs and foreigners... Grammarian (Al-Akbari 616/528) explained and parsed it. The research at hand is a contemplation , through which I tried to steer its meanings and parsing in the light of the intentions and orientations the poet had. It is certain that this position of mine is sometimes made a breakthrough in directing the meaning of some words, so I have collected them in this research. It is worth mentioning that those people before Al-Akbari as Almubared , Alzamakhshari , Altabreezi and some innovators took the later ones from those who preceded him; that is mentioned in this research. I hope that by doing this I have contributed to what is hidden of its meanings, God may grant me success.

المقدمة

للامية العرب للشنفرى (ت ٥٢٥ م)* من الشهرة بمكان لا تحتاج معه الى زيادة إيضاحٍ، فلقد تناولها علماء العربية بالإعراب والشرح منذ زمن مبكّر والى يومنا هذا، واللافت للنظر أنَّ المتأخرين من شرّاحها قد ساروا –غالبا– على خطى من سبقوهم.

* الشنفرى: شاعر من الصعاليك يُعزى إلى قبيلة الأزد اليمينية. شُغِل الناس بشعره الجميل وخلقه النبيل، كان شجاعا صبورا في الشدائد يأنس بالوحدة بين الشعاب والوحوش المفترسة، توفّي سنة (٧٠ ق.هـ) يتّصف بمكارم الأخلاق حتى أنّ عمر بن الخطّاب –رضي الله عنه– قال عن لاميته: "علّموها لأولادكم فإنما تعلمونهم مكارم الأخلاق". الأعلام، الزركلي: ٥/ ٨٥، وينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر البغدادي: ٢/ ١٦، جواهر الأدب، الهاشمي: ٢/ ٢٤٦.

والذي يعنيني من كل هذا أمورٌ اجتهدتُ في توجيهها نحويًّا ولغويا كان أوّلها شرحهم لمطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيّكم فإنِّي الى قوم سواكم لأميلُ

يكاد شُرّاحُ القصيدة يتّفقون على أنَّ الشاعر الشنفرى إنّما أراد أنْ يقول في مطلع قصيدته: إنّ غفلتكم عني وإهمالكم لي يوجبان مفارقتكم، وشراح القصيدة لا يرون في صيغة (أَميل) معنى المفاضلة، فالزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) يقول: "ليس المراد بأميل المبالغة لأنّه لا يؤدي الى إشراكهم في الميل"[١]، أقول: الشنفرى لا يريد إشراك قومه إنّه يتحدث عن نفسه فحسب.

وتبعه العكبري (ت ٦١٦ هـ)** بقوله:

"وليس المرادُ أَنّي أكثر ميلاً"[٢].

ومن المحدثين يقول عبدالحليم حفني (ت ٢٠١٠ م): "والتفضيل في (أميل) ليس على حقيقته فهو لا يُفاضل بين ميله إليهم وميله الى غيرهم، وإنّما يريدُ أنّي كرهتُ مقامي بينكم"[٣]، ويضيف السيد إبراهيم الرضوي: "أقيموا صدور مطاياكم الى الأعداء، ولا تميلوا عني، وإلاّ فإنّي لأميل منكم عني الى غيركم، وقد أزمعتُ للرحيل الى قوم سواكم أَلحقُ بهم دونكم"[٤].

---

(١) أعجب العجب في شرح لامية العرب: ٧.

** العكبري: نحوي وفقيه، ينسب إلى بلدة عُكبَرى الواقعة على نهر دجلة بين بغداد وسامراء، أُصيب في صغره بمرض الجدري وفقد بصره إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من مواصلة دراسته على يد علماء عصره. خلّف ما يربو على ثلاثين مؤلّفا، من كتبه: (شرح لامية العرب) و (شرح المقامات الحريرية) و (شرح ديوان المتنبي) و (شرح الفصيح لثعلب) و (شرح أبيات سيبويه) و (مختصر أصول النحو لابن السراج) و (شرح اللمع لابن جنّي) كما ألّف في إعراب القرآن وقراءاته وله في هذا المقام (التبيان في إعراب القرآن) توفي في بغداد ودُفن فيها. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢/ ٣٥٧، و وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢/ ٢٨٦، إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي: ٢/ ٢١٦.

(٢) شرح لامية العرب، تحقيق: د.محمد خير الحلواني: ١٧.

(٣) شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى: ٨.

(٤) شرح لامية العرب، تحقيق: د. أسماء محمد حسن هيتو: ٦٧.

وعلى الرغم من عدم وضوح كلامه تماماً (فإني لأميل منكم عني إلى غيركم) إلا أننّا نَستشفُّ من كلامه أنّه يفاضل بين قومه وسواهم، وأرى أن الشنفرى إنّما يتحدث عن نفسه فقد مَلَّ المقام بين أَهله لأنّهم يُظهرون عدم الرضا على سلوكه، وهذا سيضطرهُ الى مفارقتهم الى غيرهم مَمن تتماثل طباعهم مع طباعهِ، فمعنى المفاضلة حاضرٌ في مطلح القصيدة لا بل إنّ القصيدة قائمة أساساً على مبدأ المفاضلة.

أقول: إذا كان الشاعر يميل، ويرغبُ، ويحبُّ أهلاً غير أهله ألا يعني هذا أنّه يفضّل شيئاً على آخر؟ (فإنّي الى قوم سواكم لأَميلُ) فالمخاطبون (بنو أمِّه) وهم المفضل عليهم، وسواهم –المفضّل– وقد وجدتُ –العكبري موضوع دراستي– قد نحا قبله المنحى نفسه عندما قال: "وأمَّا –أَميل– فهو –أفعل– بمعنى فاعل كما جاء أكثر بمعنى كثير وأوحد بمعنى واحد"[١] ويكون –العكبري– بقوله هذا قد أفرغ (أَميل من معنى التفضيل، في حين أنَّ التفضيل هو المراد في هذا المقام وإلاّ لِمَ نوى الشاعر فراق أهله الى سواهم لو لم يكونوا –في زعمه– أفضل منهم؟

ويقول –أي العكبري– وهو يُعرب الفاء في مستهل الشطر الثاني: "فأمّا الفاء فإنّ فيها تنبيهاً على أنّ ما قبلها علة لما بعدها، ولذلك وقعت في جواب الشرط"[٢].

كان الاولى أن يقول عنها إنّها سببيّة بدلاً من اطلاقه عليها مصطلح الشرط... فإذا كان في الشرط معنى السببيّة فلا يعني أنّ الفاء هنا واقعة في جواب شرط. فللشرط أدواته وأسلوبه تميّزانه عن سواه.

فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مقمرٌ وَشُدَّتْ لِطيّات مطايا وأرحلُ

يقول: "–والليلُ مقمرٌ– يجوز أنْ تكون الجملة حالا، وأنْ تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب كما أنَّ المعطوف عليه لا موضع له"[٣].

(١) شرح لامية العرب، العكبري: ١٦–١٧.

(٢) شرح لامية العرب، العكبري: ١٦.

(٣)شرح لامية العرب، العكبري: ١٧.

أقول: ما الذي يجمع بين جملتي (فقد حُمّتِ الحاجات) وجملة (الليلُ مقمرُ) من حيث المعنى؟ لنقول: إنَّ الثانية معطوفة على الأولى؟ الشاعر قد أوضح لنا مكانة الجملة الثانية (الليلُ مقمرُ) من الإعراب. وهو أَنَّ القرار الذي اتخذه قد أزف موعده، ووضح دربُه وزمنه سيحصل في هذه الحالة (الليل مقمرُ) فالجملة حالية يقوي اعتقادي هذا الأبيات التي تلته وهي تصف الحالة التي تدفع الانسان لاتخاذ قراره بالرحيل.

وفي الأرض منأىً للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى مُتعزَّلُ

لَعَمْرُكَ ما بالأرض ضيقٌ على أمرئٍ سَرَى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ

من الواضح أنّه يتحدث عن رحيله هو، ويضيف البيت الذي هو عماد القصيدة وسبب وجودها:

ولي دونكم أهلونَ سيد عَمَلَّسٌ وأرقطُ زُهلول وَعَرفاءُ جيألُ

يقول العكبري: "وَسيد والأسماء المعطوفة عليه بدل من أهلون"(١).

نعم، بدليّتها واضحة من (أهلون)، ولكنّنا لو اقتربنا من مقاصد الشاعر وطريقة أدائه للمعنى لوجدناه يفصّل بعد إجمال، ويوضِّح بعد غموض وقد استهوته الفكرة – مجافاته لأهله– وأخذ يكوّنُ جملاً اسمية تزيد المعنى وضوحاً وثباتاً فقوله (سيد) والأسماء التي وردت بعده أخبارٌ لمبتدآت: (هم سيد وهم أرقط ذهلولٌ وهم عرفاء جيأل) ويعزز اعتقادنا هذا البيت الذي يليه:

هم الأهلُ لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخذَلُ

فقد أكّد فكرته بصورة أكثر وضوحا عندما ابتدأه بجملة اسمية (هم الأهلُ) بعد أَن كان قد أضمر المبتدآت في البيت السابق ويقول –العكبري–

(١)شرح لامية العرب، العكبري: ١٩.

في إعرابه لـ(دونكم): "وفي دون وجهان أَحدهما صفة لأهلين بمعنى (غير) فلما قدم صار حالا والثاني ظرف"(١).

أقول: (دونكم) ظرف مكان قبل تقدمه على (أهلون) وبعد تأخره عنها ولأنّه تقدم على موصوفه النكرة فشبه الجملة حال ويضيف –أي العكبري– "وفتحة النون على الوجه الأول اعراب الصفة وعلى الوجه الثاني اعراب الظرف"(٢).

أقول: دونكم ظرف فتحته فتح بناء لأنّه أُضيف الى مبني(٣).

وكل أبيٍّ باسلٌ غير أنني إذا عرضت أولى الطرائدِ أبسلُ

يقول العكبري: "الطريدة فعلية بمعنى فاعلة: أي فرسان الخيل أَو بمعنى مطرودة أَي الخيل التي يطردها فرسانٌ أُخر"(٤).

لقد اقتفى الشّراحُ معظمُهم أثر (الزمخشري) في قوله: "والمراد بالطرائد هنا الفرسان التي تطرد"(٥)، أقول: الطرائد: هي الحيوانات المُطَارَدة –مادة الصيد– ومن المؤكد أنّ معظم هذه الطرائد مُخيفة، وتحتاج الى رجل باسل أشجع من سواه ليقفوَ أثرها ويطاردها، فصيغة أفعل التفضيل ما زالت مفهومة وحاضرة في السياق، ولم يذكر –العكبري– سبباً لبقاء التنوين في كلمة (كل) واكتفى بالقول: "وكل –يريدُ: كل واحد منهم أو كلهم، فحذف المضاف إليه وهو يريده"(٦).

(١)شرح لامية العرب، العكبري: ١٨.

(٢)شرح لامية العرب، العكبري: ١٨.

(٣) ينظر: همع الهوامع، السيوطي: ١٥٥/٢. قال تعالى: (ومنا دونَ ذلك) الجن:١١. دونَ: مبتدأ وبني لإضافته الى مبني.

(٤) شرح لامية العرب، العكبري: ٢١.

(٥) أعجب العجب في شرح لامية العرب: ١٤.

(٦) شرح لامية العرب، العكبري: ٢١.

ويعلّق المحقق د.محمد خير الحلواني في الصفحة نفسها الهامش رقم (٢) بالقول: "وعلى هذا يكون التنوين –في مذهب بعض النحاة– تنوين عوض، إذ هو عوض عن المضاف إليه المحذوف"(١).

ويواصل الشنفرى مدحَ كرمهِ وسموِّ أخلاقه بقوله:

وإن مُدَّتِ الأيدي الى الزَّاد لم أكن بأعجلهم إذ أجْشَعُ القوم أعجل

يقول العكبري وهو يتحدث عن قوله –لم أَكن بأعجلهم: "أَعجلهم أو أعجلَ من غيره"(٢).

وكأنّه قدر فيها معنى التفضيل، ولا أَرى تفضيلاً في البيتْ، إنّما أراد أنا لستُ عجلاً، ولا حريصا على تناول الطعام رغم حاجتي إليه بدليل الشطر الثاني (إذ أجشع القوم أَعجل) الذي ذهب فيه مذهب الحكمة والمثل... ثم أعقب ذلك مدحاً آخر لنفسه وكأنّ الذي يفعله سجيّةٌ وخلقٌ فُطر عليه.

وما ذاك إلا بَسْطَةٌ عن تفضُّلٍ عليهم، وكان الأفضلَ المتفضِّلُ

ويبقى الشنفرى –غير آبهٍ من جحود من حوله. ومن عدم تثمينهم تَفَضُّله عليهم بقوله:

وإني كفاني فقد من ليس جازياً بِحُسنى ولا في قربه مُتَعَلَّلُ

يقول العكبري: "وَمُتَعَلّل يجوز أن يكون معطوفاً على اسم ليس وَقُرْبَهُ في موضع نصب خير ليس المقدرة"(٣).

ولا أَرى لهذه التقديرات من حاجةٍ، فضلاً عن أَنّها تبعدُ معنى البيت عن غايته، فقوله: (عن قربه مُتَعَلل) جملة إسمية –خبر مقدم ومبتدأ مؤَّخر– ويشجِّعني على هذا استقلالية الجملة فهي بمنزلةِ الجملة التي سبقتها (ليس جازياً بحسنى) فالشاعر

(١) لم يشر إلى مصدر هذا الرأي.

(٢) شرح لامية العرب: ٢٣.

(٣)شرح لامية العرب: ٢٤.

يصف الجاحدين لفضله وهم أُناسٌ غير مُحددين أو معروفين على وجه الدّقة فـ(من) هنا تعني إنساناً أيَّ إنسان، وهذه الجملة (عن قُربه مُتَعَلَّلُ) معطوفة على جملة (من ليس جازيا بحسنى) وبسهولة نلحظ الربط الجميل بين أجزاء القصيدة، فالذي جعل الشنفرى يصبر على هؤلاءِ النّاس المنكرين لفضله قوله:

ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مشيّعٌ وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطلُ

يقول العكبري: "فؤاد مُشَيَّع فيه وجهان، أَحدهما أنّه وما بعدَهُ من المعطوفات بدل من –ثلاثة– تقديره كفاني فؤاد وأبيض وصفراء، والثاني هو خبر لمبتدأ محذوف أي أَحدهما فؤاد، وثانيها أبيض وثالثها صفراء"(١).

لقد أعرب (فؤاد مُشيّعٌ ومعطوفاته) إعرابين: أحدهما –وهو الذي يعنيني هنا– أنّها أخبارٌ لمبتدآت محذوفة في حين لم يقل بهذا الإعراب عند إعرابه (سيد ومعطوفاته) في البيت السابق:

ولي دونكم أهلونَ سيد عَمَلَّسٌ وأرقطُ زُهلول وَعَرفاءُ جئيلُ

وَيُفضّل هنا أن نعربها أخباراً لمبتدآت محذوفة بدافع فهمنا لمقاصد الشاعر وطريقة عرضه لأفكاره بالإطالةِ، وتفصيل الكلام بعد إجمال، ويلاحظ أنَّ هذا البيت إنّما هو امتدادٌ للذي سبقه، فالحالة النفسية التي عليها الشاعر ما زالتْ هي نفسها التي تحكم أجواء القصيدة.

هَتوفٌ من المُلْسِ المُتونِ يزينها رصائعُ قد نيطت إليها ومِحْمَلُ

يقول العكبري: "هتوف صفة لـ(صفراء)(٢)" وهي كذلك صفة، والأجدر أنْ نتمسّك بطريقته في عرض أفكاره ونقول: (هتوف) خبر لمبتدأ محذوف والجملة صفة لصفراء، ويلاحظ أنَّ هناك صفاتٍ أُخرى لـ(صفراء) هي (من الملس) (تزينها رصائع) فالجمل الاسمية تتوالى في القصيدة وهذا ينسجم وثبات الشاعر على رأيه.

(١)شرح لامية العرب: ٢٥.

(٢)شرح لامية العرب: ٢٥.

إذا زلّ عنها السّهم حَنَّتْ كأنها مُرَزَّأَةٌ عجلى ترِنُ وتُعْوِلُ

يقول العكبري: "ويجوز أَن تكون –عجلى– حالاً من الضمير في (مُرزّأة)[1]" يقول: يجوز أن تكون حالاً ولم يذكر الأوجه الجائزة الأُخرى، والأقرب إعرابها صفة لـ(مرزّأة) في موضع رفع.

يلاحظ بعد هذا البيت أَنّ –الشنفرى– ينتقل فجأةً ومن دون تمهيد من وصفه لأهله ومن ذكره لسلاحه (السيف والقوس) الى الحديث عن نفسه (شجاعته – كرمه – صبره – حسن خلقه – لم يمهد لهذا الانتقال حتى ليظن قارئ القصيدة أنّ هناك أبياتاً قد سقطت أو سها عنها الرواة يقول:

ولستُ بمهيافِ يُعَشّى سوامهُ مُجدَعَةً سُقبانها وهي بُهَّلُ

ويستمرُّ حتى البيت السادس والعشرين وهو قوله:

وأغدو على القوتِ الزهيدِ كما غدا أزلُّ تهاداه التَّنائِفُ أطحلُ

الذي يشبّه به نفسه بالذئب –الأزل– قليل لحم الفخذين ثم ينسى نفسه ويوغل في وصف هذا الذئب المفترض ويستمر حتى البيت الخامس والثلاثين:

وَفَاءَ وفاءتْ بادِراتٌ وكلها على نَكَظٍ مما يُكاتِمُ مُجْمِلُ

فهو الى هذا البيت يكونُ قد رسمَ لنا ثلاثَ لوحات، وكأني بالشنفرى قد كتب هذه اللوحات في أوقات مختلفة.

ثُمَّ تبدأ لوحته الرابعة يصف فيها سرعته الفائقة التي يسبق بها –القطا– الطيور المعروفة بسرعتها، ويصل قبلها الى الماءِ ويشرب وتشرب القطا بعده:

وتشربُ أسآرِي القطا الكُدْرُ بعدما سرت قرباً أحناؤها تتصلصلُ

وتستمر هذه اللوحة حتى البيت الحادي والأربعين:

(١)شرح لامية العرب: ٢٦.

فَعَبَّتْ غشاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كأنّها مع الصُبْحِ ركبٌ من أُحَاظة مُجْفِلُ

ثمَّ تبدأ لوحة خامسة يصف فيها جسده الخالي من اللحم، يفترشُ الأرض عند النوم متوسداً ذراعه: ممسكاً بالصبر، وهو في حالة فقره لا يشكو العُسرةَ وفي حال الغنى لا يفرح حتى البيت الثالث والخمسين:

ولا تزدهي الأجهال حِلمي ولا أُرى سؤولاً بأعقاب الأقاويلِ أنْمُلُ

وهذه لوحةٌ أُخرى يصف فيها غارةً له على قوم في ليلةٍ شديدةِ البرودة، وعاد هو وأصحابه بسرعة والليل ما يزال مقيما، ثم يتخيّلُ الناسَ في صباح اليوم التالي يتحدثون عن هذه الغارة بعجب ويسألون عن منفذها أهو ذئب أم ضيع أم جان فغارةٌ كهذه لا يقوى على فعلها البشر:

وليلةِ نحسٍ يصطلي القوس ربُّها وأقطعهُ اللائي بها يَتَنَبَّلُ

دعستُ على غطْشٍ وبغشٍ وصحبتي سُعارٌ وإرزيزٌ وَوَجْرٌ وأفكل

فأيَّمتُ نِسواناً وأيتمتُ إلاةً وعُدْتُ كما أبْدَأتُ والليل أليَلُ

الى قوله:

فإن يَكُ من جنٍّ لأبرحَ طَارقاً وإن يَكُ إنساً مَاكها الإنسُ تَفعَلُ

وعلى الرغم من جمال هذه اللوحة ووضوحها، فلدىّ اعتقاد يدفعني للقول: إنّها أبيات مقحمة على القصيدة، أو ربّما هناك أبياتٌ سقطت تُمَهّد لها. ثمَّ كيف يسألُ الناس عن كنه الفاعل، وما جرى هو من صنع الإنسان، فقد أيَّم نسوانا، وَيَتَّمَ أطفالاً...

وإذا كان الشنفرى قد وصف نفسه يقاسي ليلةً شديدة البرودة فهو الآن في آخر لوحاته يصف نفسه وهو يقاسي الحر لا يكسو جسدَهُ غير ثوبٍ بالٍ، وشعر طويل قد تَلَبَّدَ من اتساخه، وهو يقطع الفيافي البعيدة جيئةً وذهابا لا يصادف في هذه الأرض القاحلة سوى الوعول وتنتهي القصيدة وقد نَفَّذ تهديده لأهله وصار الى قوم سواهم... فها هي الوعول في أعلى الجبل مستأنسةً بوجوده محتمية إناثها به.

ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأنّني من العُصْمِ أدْفى يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ

كانَ لابدَّ أنْ أُعرّج على ذكر القصيدة من حيث بناؤها وأغراضها وانتقالات الشاعر وهو يكتبها من لوحةٍ الى أُخرى وهو يصف نفسه في حالاتها المختلفة بأوصاف (الشجاعة – العفّة – الكرم – السرعة).

أعود ثانية الى التوجيهات النحوية واللغوية التي قام البحث على أساسها. يقول في البيت الرابع عشر:

ولستُ بمهيافِ يُعَشّى سَوامهُ مُجَدَعَةً سُقبانها وهي بُهَّلُ

يقول –العكبري– "مُجَدّعةً حال من سوامه، ويجوز أنْ يرفع على أنَّهُ خبر مقدم والمبتدأ سقبانها، وَمن نَصَبَ مُجَدَّعةً رفع سقبانها بمجدَّعة"(١).

والأفضل اعرابُها حالاً وحسب فهي أي مجدّعة اسم مفعول رفعت نائب فاعل (سقبانها) فالجملة اقرب الى الفعلية منها الى الاسمية كون مجدّعة وصفا (أي من المشتقات).

ولو تأملنا في الغاية التي يرمي إليها الشاعر وهي وصفه للحالة التي تكون عليها الإبل في حالة رعيها لما تردّدنا من إعرابها حالاً...

ثم كيف يقترح رفع (سقبانها) بـ(مُجَدّعةَ) في حالة نصبها –يقصد اعراب سقبانها نائب فاعل –لو لم تكن (مجدّعةً) حالاً(٢)؟ فالاولى أن يعربها حالاً بلا تردد... ويلاحظ توجيهاته لاعراب (كيف) في قول الشنفرى:

ولا جُبّأ أكهى مُرِبٍّ بعرسِهِ يُطالعُها في شأنه كيف يفعلُ

يقول العكبري: "والأَقوى أن يكون حالاً، وقيل ظرف"(٣).

---

(١) شرح لامية العرب: ٢٧.

(٢) ينظر: همع الهوامع: ٦١/٣، الحديث عن شروط عمل اسم المفعول عمل اسم الفاعل.

(٣) شرح لامية العرب: ٢٨.

يُجيزُ إعرابها ظرفاً ولم يَعزهُ لقائل[١]. في حين إنّ معناها في سياقها لا يخرج عن الحال.

ويعربُ (داهنا) في قول الشنفرى:

ولا خالف داريَّةٍ مُتغَزِّلٍ يروحُ ويغدو داهناً يَتَكَحَّلُ

"وداهنا: إمّا خبر يغدو، وإمّا خبر يروحُ، والحال وضميرها محذوف دلَّ عليه خبر (يغدو)"[٢].

أقول: أنْ تكونَ داهناً خبراً للفعل يروح فهذا مفهوم، وأُضيف أنَّ خبر (يغدو) محذوف دلَّ عليه خبر (يروح) أمَّا قوله: الحال وضميرها محذوف دلَّ عليه خبر (يغدو)، فالعبارة ملبسة... أقول: إذا جعلنا الفعلين (يروح ويغدو) ناقصين[٣] فداهنا هي الخبر، وإذا عددناهما فعلين تامين فداهنا حال.

يلاحظ على الأبيات حتى البيت الخامس والعشرين كثرة العطف، والصفات والأحوال وورود الباء الزائدة في أخبار الأفعال الناقصة.

ولستُ بمهيافٍ يُعَشي سوامه.... الخ.

ولست بعلٍ شَرُّهُ دونَ خيره.... الخ.

ولستُ بمحيار الظلام إذا انتحتْ... الخ.

وُيَعربُ الكاف في البيت الخامس والعشرين والذي يليه:

وأطوِي على الخُمص الحوايا كما انطوى خُيُوطَةُ ماريٍّ تُغارُ وتفتلُ

يقول: "الكاف نعت لمصدر محذوف أي طيّاً كما انطوت و(ما) مصدرية"[٤].

---

(١) أنكر الاخفش والسيرافي قول سيبويه أن (كيف) ظرف، وقال ابن مالك لم يقل أحد أن كيف ظرف إذ ليست زماناً ولا مكاناً. ينظر: مغني اللبيب: ٢١٦/١-٢١٧. وهمع الهوامع: ١٦٠/٢.

(٢) شرح لامية العرب: ٢٨-٢٩.

(٣) وألحق قوم منهم الزمخشري وأبو البقاء والجزولي وابن عصفور (غدا وراح) بمعنى صار، أو بمعنى (وقع) فعله في وقت الغدو والرواح. ينظر: همع الهوامع: ٣٥٩/١.

(٤) شرح لامية العرب: ٣٤.

ثم يُعرب الكاف في البيتْ الذي يليه:

وأغدو على القوتِ الزهيدِ كما غدا أزلُّ تهاداه التَّنائِفُ أطحلُ

"كما: نعت لمصدر محذوف أي غدوّاً كغدو الأزل"(١).

وكان عليه أنْ يوحد الأعراب في البيتين.

وفي البيت الذي يليه:

غدا طَاوياً يُعارضُ الرِّيحَ هافياً يخُوتُ بأذناب الشِّعَاب ويعْسِلُ

يقول العكبري: "وهافيا: يذهب يميناً وشمالاً من شدة الجوع، ويخوت: يختطف"(٢).

إذا كان هذا الذئب مسرعاً يركض على غير هدى، أي: لا يظفر بمبتغاه من صيد فهو مخطئ في مسعاه، فكيف فسّر (يخوت) بمعنى يخطف؟ وما الذي يخطفه؟ وأرى أنّ (يخوت) هو صوت أنفاس الذئب المتعبة، يقال: "الخوت والخواتة: الصوت"(٣)، والصوت من معاني هذا الفعل.

... وبعد أن شبّه جوعه بجوع هذا الذئب انصرف في الأبيات التالية الى وصف هذا الذئب الذي عوى مستنجداً بأقرانه الذئاب لعله يجد لديها ما يأكله، فاستجابتْ الذئاب لندائه فإذا هي هزيلة مثله جائعة... والجميل أنّ الشنفرى وصفها وصفَ من خبرها وعاش معها فشبّهها بالأهلة لهزالها اشداقها واسعة وقد برزت اسنانها، ولم يكتف بذلك بل وصف سلوكها والحوار الدائر معها فإذا صاح هذا الذئب أجابته الذئاب بمثل صياحه، وإذا ضيَّقت ما بين جفونها من شدة المعاناة كان ذلك مجاراة له، وإذا ما تراجع عن شكايته تراجعت هي الأُخرى ولم يبق إلا أن يتفرق الذئاب ليبحث كل منهم عن صيدٍ يدفع به عنه شبح الموت الى قوله:

وَفَاءَ وفاءتْ بادِراتٍ وكلها على نَكَظٍ مما يُكاتِمُ مُجْمِلُ

---

(١)شرح لامية العرب: ٣٥.

(٢) شرح لامية العرب: ٣٦.

(٣) يقال الخائتة العقاب التي تختاب وهو صوت جناحيها. ينظر: لسان العرب، مادة (خوت) ٤/ ٢٣٩.

يقول العكبري وهو يوجه إعراب مما في الشطر الثاني: "و(من) نعت لـ(نكظ) أي على شدة كائنةٍ مما يكاتم و(ما) بمعنى الذي أو نكرة موصوفة أو مصدرية"(١).

يلاحظ أنّه لم يفصّل في اعراب (مما) فهي مكونة من (من) حرف جر وما اسم موصول بمعنى الذي وشبه الجملة في محل جر صفة لـ(نكظ) وهذا أقرب الاعرابات الى معنى البيت وجملة (يكاتم) صلته.

ويوجه العكبري اعراب بالبراح في قول الشنفرى:

وَضَجَّ وضَجَّتْ بِالبراحِ كأنَّها وإياهُ نوْحٌ فوقَ علياء ثُكل

"بالبراح: ظرف للفعلين جميعاً"(٢)، الفعلان اللذان قصدهما هما (ضجَّ وَضَجّتْ) قد حصلا بالبراح أي (الأرض الواسعة)، وشبه الجملة بالبراح حال أمّا الظرف الذي وسع هذه الأرض فكان مقامه (فوقَ علياء) ففوق هي الظرف... كما أن قوله عن اعراب (نوح) "ويجوز أن يكون ظرفاً له أي كأنّها تنوح في ذلك الموضع"(٣) والظرف الذي وسع الجميع هو (فوق علياء).

ثم ينتقل لوصف سرعته التي تسبق القطا ويصل الى الماء قبلها ويشرب وعند وصولها ستشرب بقاياه ثم يبدأ يوصف تعايشه مع الأرض القاحلة يقول:

وآلف وجه الأرض عند افتراشها بأهْدَأ تُنبيه سَناسِنُ قُحَّلُ

وقوله: "وآلف: مستأنف لا موضع له. ووجه الأرضِ مفعول آلف"(٤).

والصواب أن تكون (آلف) خبرا لمبتدأ محذوف (أنا آلف) وإلاّ كيف ساغ له أنْ يعمل عمل فعله؟ وتبقى الجمل الاسمية الدالة على الثبات، وعدم الانتقال تحكم الحالة التي هو عليها، ويلاحظ تكرار هذه الجمل في الابيات التالية يقول:

طَرِيدُ جِناياتٍ تياسرنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لأنّها حُمَّ أولُ

(١) شرح لامية العرب:٤٢.

(٢)شرح لامية العرب: ٣٩.

(٣)شرح لامية العرب: ٣٩.

(٤) شرح لامية العرب: ٤٦.

أي (أَنا طريدُ) مبتدأ مقدر وخبر.

وهناك أَمر عروضي ورد في القصيدة في هذا البيت وأبيات أخرى لم يُشر إليه العكبري ولا سواه من شُرَّاح اللامية وهو ورود تفعيلة (مَفَاعلن ب – ب –) مقبوضة بدلاً من (مفاعلين ب – – –) في حشو هذا البحر الطويل وهو أمر يُستثقل وَيكره[١] وروده في غير تفعيلتي (العروض والضرب).

ويقول في تفسيره البيت الذي يليه:

تنامُ إذا ما نام يقظى جُفونُها حِثاثاً إلى مكروهةٍ تَتَغَلْغَلُ

"إذا قَصَّرَ الطالبون عنى بالأوتار لم تُقَصّر الجنايات"[٢].

... ولا موضع هنا: لـ (طالبون) فالجنايات يُقصد بها أصحابها أي طالبو الثأر وقوله –إذا ما نام– أي الشنفرى وهي جملة اعتراضية فالأعداء لا ينامون أَو يغفلون عنه يطلبونه (ليلَ نهار).

ويؤكد لنا اهتمامه بالجمل الاسمية التي تؤيّد ثباته على ما هو عليه من حال قوله:

فلا جَزَعٌ من خِلةٍ مُتكشِّفٌ ولا مَرِحٌ تحت الغِنى أتخيلُ

أي: أنا جزعٌ –أنا متكّشفٌ– أنا مرحٌ.

ويلاحظ البيتان (٥٤–٥٥) الرابع والخمسون والخامس والخمسون:

ولَيلةِ نحسٍ يصطلي القوسَ ربُّها وأقطعهُ اللائي بها يَتَنَبَّلُ

دعستُ على غطْشٍ وبغشٍ وصحبتي سُعارٌ وإرزيزٌ وَوَجْرٌ وأفكل

يقول العكبري: "وليلةِ نحسٍ: مجرورة بـ(ربّ) مضمرة... دَعَسْتَ: جواب رُبَّ المقدرة في قوله: وليلة نحسٍ وبـ(دعست) كان موضع (ليلة نحسٍ) نصباً كما تقول: بزيدٍ مررتْ"[٣].

الأقرب لمعنى البيت أن نقرأها (وليلةَ نحسٍ) منصوبة على الظرفية الزمانية.

---

(١) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: ٤٧.

(٢) شرح لامية العرب: ٤٨.

(٣) شرح لامية العرب: ٥٢–٥٣.

ويمكن اعرابها (ليلةُ نحس) في محل رفع مبتدأ خبره جملة (دعستُ) في مستهل البيت الثاني، وهذا يتماشى مع ولعله بالجمل الاسمية الدّالة على الثبات الذي يُنشده في حياته.

ويلاحظ البيتان (٦١-٦٢) الواحد والستون والثاني والستون:

ويومٍ من الشِّعرى يذوبُ لُعابهُ أفاعيه في رمضائهِ تتملْمَلُ

نَصَبْتُ لـه وجهي ولاكنَّ دُونَـهُ ولا ستر إلا الأتحميُّ المُرَعْبَلُ

يقول العكبري: "ويومٍ: أي ربَّ يومٍ. من الشعرى: نعت ليوم...

ويذوبُ: نعت ليوم... ويجوز أن يكون: نصبتُ له وجهي في موضع جرّ نعتاً ليوم"(١).

وحتى تستكمل الجملة معناها ونقع على الغاية التي يقصدها الشاعر نرى أن جملة (نصبتُ له وجهي) هي خبر لـ(يوم) وليس صفةً له. أي فهذا وجهي قد جعلته في مواجهة هذا اليوم لا يستره شيء إلا ما ذكره.

ويقول العكبري: "ولوابه ولعابه واحد وهو لعاب الشمس"(٢).

فهو -أي العكبري- يساوي بين لفظتي (لوابه ولعابه) في الوقت الذي لم ترد كلمة (لوابه) في النسخة التي يقوم بشرحها، بل وردتْ في نسخ أخرى.

يقول الزمخشري: "ولوابُه ولعابه واحد"(٣)، وهذا دليل على أنّه كان ينقل عن الآخرين أهمهم الزمخشري.

وهذا البيت (٦٥) الخامس والستون شبيه بما مرَّ بنا:

وخَرقٍ كظهر الترسِ قَفْرٍ قطعتهُ بِعَامِلتين ظهرهُ ليس يعملُ

(١) شرح لامية العرب: ٥٨-٥٩.

(٢)شرح لامية العرب: ٥٩.

(٣) أعجب العجب في شرح لامية العرب: ٢٣.

يقول العكبري: "وخرقٍ: أي ربّ خرقٍ... وقطعته: هو الفعل الذي تتعلق به (ربّ) ويجوز أن يكون نعتا لـ(خرِق)" [١].

وحتّى تظهر مقاصد الشاعر بوضوح علينا أَن نعرب الفعل (قطعته) المستوفي لمفعوله: خبراً لقوله (وخرقٍ).

ويختم –الشنفرى– قصيدته بقوله:

تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلي كأنّها عَذَارَى عليهنَّ المُلاَءُ المُذَيَّلُ

ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأنّني من العُصْمِ أدْفى يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ

يلاحظ الربط المعنوي الجميل بين نهاية القصيدة ومطلعها:

أقيموا بني أُمِّي صدور مطيّكم فإنّي الى قوم سواكم لأميلُ

فها هو الشنفرى قد أصبح جزءاً من القوم الجدد الذي وعد في مطلع القصيدة أن يلتحق بهم، فهو الآن قد التجأ قبل الغروب الى أعالي الجبال كما تفعل الوعول وقد أنستْ به واحتمتْ بوجوده.

(١) شرح لامية العرب: ٦١.

نتائج البحث

- شُرّاحُ –لامية العرب– للشاعر الشنفرى، ومنذ (المبرد ت٢٨٥) شارحها الأوّل إلى شُرّاحها المعاصرين قد أخذ المتأخرُ منهم عن المتقدم. وقد يحصل ذلك أحياناً بتكرار الجمل نفسها، واتباع النّهج نفسه.
- أهمل العكبري معنى المفاضلة المتجلّي في صيغة (أَميلُ) الواردة في مطلع القصيدة شأنه شأن شرّاح القصيدة الذين سبقوه، في حين أَنَّ هذا المعنى هو الأساس الذي بنيت عليه القصيدة وكان السببَ في وجودها.
- القصيدة بوصفها العميق لحياة الصحراء ومفرداتها، والصعلكة وسلوكياتها لا يُحسن كتابتها إلا من خبر الصحراء واكتوى ببردها، وقيظها وعايش أو ابدها، وهذا يدفع الشك في نسبة القصيدة للشاعر (الشنفرى).
- ثبات (الشنفرى) على حياة الصعلكة وتشبثه بها جعل القصيدة تُبنى معظمُ أَبياتها على الجمل الاسمية الدَّالة على الرسوخ والثبات.
- يلاحظ على بعض أبيات القصيدة كثرة العطف والصفات والأحوال وورود الباء الزائدة في أخبار الأفعال الناقصة.
- ربط الشاعر بين بداية القصيدة ونهايتها، إذ وعد في بدايتها أن يترك أهله ويلتحق بأوابد الصحراء، وقد فعل ذلك في نهاية القصيدة ملتجئا إلى أعالي الجبال كما تفعل الوعول.

المصادر

- أعجب العجب في شرح لامية العرب، محمود بن عمر الزمخشري، طبع على نفقة محمد أحمد بنظارة الاشغال بمصر، ط٣.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – ٢٠٠٢م، ط١٥.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة – ١٩٥٠م.
- جواهر الأدب، أحمد الهاشمي، دار المعرفة، بيروت – ٢٠١٥، ط٤.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م، ط٤.
- شرح لامية العرب، للعكبري، تحقيق: د. محمد خير الحلواني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط١.
- شرح المبرد على لامية العرب، تحقيق: د. جميل عبدالله عويصة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- شرح لامية العرب للتبريزي، تحقيق: د. محمد محمود العامودي، بحث منشور في الجامعة الإسلامية، غزة.
- شرح لامية العرب السيد إبراهيم الرّضوي، تحقيق: د. أسماء محمد حسن هيتو، دار الفارابي، الامارات العربية المتحدة، الشارقة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ط.
- فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، منشورات مكتبة المتنبي، العراق – بغداد، ط٥، ١٩٧٧م-١٣٩٧هـ.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – ٢٠١٢م.
- لسان العرب للإمام ابن منظور، اعتنى بطبعه أمين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الانصاري، تحقيق: بركات يوسف، دار العلم، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ط١.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلّكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت – ٢٠١٣، ط٦.